بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم وتوطئة وتمهيد

الحمد لله رب العالمين، المعروف بالجود، والموصوف بالكمال، المتفرد بالعظمة والكبرياء، والعزة والبقاء، الملك الحنان، المنان الجواد، الذي حبب الإيمان إلى عباده، ومنَّ عليهم بفضله، وأحمده تعالى على أن هدانا للإسلام، وخصَّنا بسيد الأنام، وسراج الظلام، سيدنا محمد الماحي بنوره ظلام الكفر والعناد، المخصوص بالمقام المحمود، واللواء المعقود، والحوض المورود، والشرف المشهود يوم يقوم الأشهاد. وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة خالصة التوحيد، خالية من الشرك والإلحاد، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده المصطفى، ورسوله المرتضى، الهادي إلى سبيل الرشاد، صلى الله عليه وعلى آله الغرّ الكرام، وأصحابه النجباء الأمجاد.

وبعـــد ...

فإن العمل الصالح لكي يكون صالـحًا فإنه يحتاج إلى أمرين: النقاء، والبقاء.

أما النقاء فهو: خلو العمل من الرياء والسمعة، ووصوله إلى مرحلة الصفاء والتجرد، وهذه المعاني القرآنية لمعنى صلاح العمل، نورد لها من الآيات الكريمة مايعطينا الفهم الحقيقي لها، قال الله ﷻ: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾ [النحل: ٩٧].

﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا ﴾ [الكهف: ١١٠].

﴿ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴾ [طه: ٨٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا ﴾ [المؤمنون: ٥١].

﴿وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [غافر: ٤٠].

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ [فصلت:٣٣].

﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ﴾ [التغابن: ٩].

وصلاح العمل ونقاؤه مرتبطان بالإخلاص فيه، واستحضار الهمة عند عمله، والقصد والتجرد، وهذه المعاني يمكن توضيحها من آيات الذكر الحكيم: ﴿قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزمر: ١١].

﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى﴾ [الزمر:١٤].

﴿وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾[الأعراف:٢٩].

﴿فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [غافر: ١٤].

﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [غافر: ٦٥].

﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥].

وأما البقاء فهو: بقاء أثر العمل الصالح ذخرًا لصاحبه فى الدنيا والآخرة، وهذا البقاء للعمل لا يكون إلا فى حالة صدق هذا العمل؛ والإخلاص فيه، وعلى قدر الإخلاص فيه والصدق؛ يأتي له البقاء، بإذن الله ﷻ، وسنتعلم الآن من القرآن الكريم سمات العمل الباقي الدائم أثره، المتحقق رسوخه بإذن الله تعالى، ونورد من الآيات الكريمة ما يلي:

﴿وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [طه: ٧٣].

﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [طه: ١٣١].

﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [القصص:٦٠].

﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الشورى: ٣٦].

﴿وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [الأعلى: ١٧].

﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل:٩٦].

﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: ٤٦].

﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا﴾ [مريم: ٧٦].

﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [هود: ٨٦].

النقاء والبقاء معًا يجتمعان فى الأخلاق الإسلامية الطيبة، وفي حسن الخلق وصلاح النفوس، والتأدب مع البشر، وهذه هي المعاني التي نركز عليها هنا؛ حيث نبرز أهمية الأخلاق الحسنة في الإسلام التي هي مظهرٌ للنقاء والبقاء.

إن تزكية النفوس أصعب من علاج الأبدان وأشدُّ، وطريق تهذيبها وتأديبها وتصفيتها هو طريق الرسل الكرام صلوات ربي وسلامه عليهم، فالرسل أطباء القلوب، فلا سبيل إلى تزكيتها وصلاحها إلا من طريقهم، وعلى أيديهم، والتسليم لهم، وتزكية النفس إحدى مراتب الإحسان.

لقد حدَّد رسول الله ﷺ الغاية الأولى من بعثته، والمنهاج المبين في دعوته بقوله: «**إنما بعثتُ لأتمم مكارم الأخلاق**»(١) والعبادات التي شُرِعَت في الإسلام، واعتُبِرَت أركانًا فى الإيمان به هي أساس الأخلاق الصحيحة، وأن يظل متمسكًا بهذه الأخلاق مهما تغيّرت أمامه الظروف.

والقرآن الكريم والسنة المطهرة يكشفان بوضوح عن هذه الحقائق الأخلاقية، فالصلاة الواجبة – عندما أمر الله تعالى بها– أبان الحكمة من إقامتها، فقال ﷻ:

﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت:٤٥].

فالابتعاد عن الرذائل، والتطهر من سوء القول وسوء العمل، هو حقيقة الصلاة.. وقد قال ﷻ: «**إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع بها لعظمتي،**

(١) مسند الإمام أحمد، كتاب: باقى مسند المكثرين، باب: باقى مسند المكثرين، رقم الحديث: ٨٥٩٥.

ولم يستطل بها على خلقى، ولم يبت مُصرًّا على معصيتى، وقطع النهار في ذكر، ورحم المسكين وابن السبيل والأرملة ورحم المصاب»[1].

والزكاة المفروضة لا تؤخذ قهرًا، بل هي أولاً: غرس لمشاعر الحنان والرأفة، وتوطيد لعلاقات التعارف والألفة بين شتى الطبقات.. وقد نص القرآن الكريم على الغاية من إخراج الزكاة بقوله تعالى: ﴿**خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا**﴾ [التوبة:١٠٣].

وكذلك شرع الإسلام الصوم، ولم ينظر إليه على أنه حرمان مؤقت من بعض الأطعمة والأشربة، بل اعتبره خطوة إلى حرمان النفس دائمًا من شهواتها المحظورة، وإقرارًا لهذا المعنى قال رسول الله ﷺ: «**من لم يدع قول الزور، والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه**»[2].

والقرآن الكريم يذكر ثمرة الصوم بقوله: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾[البقرة:١٨٣].

هذا العرض المجمل لبعض العبادات التي فرضها الإسلام، وعرفت على أنها أركانه الأصلية، نستبين منه متانة الأواصر التى تربط الدين بالأخلاق.. إنها عبادات متباينة فى جوهرها ومظهرها، ولكنها تلتقي عند الغاية التي رسمها رسول الله ﷺ في قوله: «**إنما بُعِثْت لأتمم مكارم الأخلاق**»[3].

فإذا لم يستفد المرء من هذه العبادات ما يزكي قلبه، وينقي لبّه، ويهذب صلته بالله ثم بالناس فقد هوى.

---

(١) رواه: عبد الله بن عباس، المحدث: البراز، المصدر: البحر الزخار، رقم: ١٣٠/ ١١.
(٢) صحيح البخارى، كتاب: الصوم، باب: من لم يدع قول الزور والعمل به فى الصوم، رقم الحديث: ١٧٧٠.
(٣) مسند الإمام أحمد، كتاب: باقى مسند المكثرين، باب: باقى مسند المكثرين، رقم الحديث: ٨٥٩٥.

قال الله تعالى لنبيه ﷺ مثنيًا عليه، ومظهرًا نعمته لديه: ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾ [القلم: ٤].

قال ابن عباس رضي الله عنهما مفسّرًا هذه الآية: «لَعَلَى دين عظيم، لا دين أحبُّ إليّ ولا أرضى عندي منه، وهو دين الإسلام». فجعل الدين كله خُلُقًا، فمن زاد عليك في الخلق، فقد زاد عليك في الدين.

وقالت السيدة عائشة رضى الله تعالى عنها: «**كان رسول الله ﷺ خُلُقه القرآن**»(١).

وقال ﷺ: «**أثقل ما يوضع في الميزان يوم القيامة الخُلُق الحَسَن**»(٢).

وكان من دعائه ﷺ في افتتاح الصلاة: «**اللهم اهدني لأحسن الأخلاق، لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها؛ لا يصرف عني سيئها إلا أنت**»(٣).

وقال ﷺ: «**إن المسلم المُسَدَّد ليدرك درجة الصائم القائم بحُسن خُلقه وكرم مرتبته**»(٤).

وقال ﷺ: «**أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خُلُقا، الموطئون أكنافًا، الذين يألفون ويؤلفون**»(٥).

وقال ﷺ: «**إن من أحبكم إليّ وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا، وإن أبغضكم إليَّ وأبعدكم مني يوم القيامة: الثرثارون، والمتشدقون، والمتفيهقون، قالوا: يا رسول الله، وما المتفيهقون؟ قال: المتكبرون**»(٦).

---

(١) الراوى: السيدة عائشة رضى الله عنها، المحدث: الألبانى، المصدر: صحيح الأدب المفرد، الرقم: ٢٣٤.
(٢) الراوى: أبو الدرداء، المحدث: العجلونى، المصدر: كشف الخفاء، رقم ٤٧/ ١.
(٣) صحيح مسلم، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: الدعاء فى صلاة الليل وقيامه، رقم الحديث: ١٢٩٠.
(٤) رواه: عبد الله بن عمرو بن العاص، المحدث: محمد بن محمد الغزى، المصدر: إتقان ما يحسن، رقم ٥١٦/ ٢.
(٥) رواه: أبو سعيد الخدرى، المحدث: البيهقى، المصدر: شعب الإيمان، الرقم: ٢٧١٩/ ٦.
(٦) سنن الترمذى، كتاب: البر والصلة، باب: ما جاء فى معالى الأخلاق، رقم الحديث: ١٩٤١.

في مجال تنقية القلوب، ومجاهدة النفس، وتصفيتها من الهوى والغش والخيانة نقرأ قوله ﷺ في وصيته لسيدنا أنس رضي الله عنه: عن أنس رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**يابني، إن قدرت أن تصبح وتمسي وليس في قلبك غش لأحد فافعل.. ثم قال لي: يا بني.. وذلك من سنتي، ومن أحيا سنتي فقد أحبني، ومن أحبني كان معي في الجنة**»(١).

ونظرة الإسلام إلى القلب مهمة، فالقلب الأسود يفسد الأعمال الصالحة.

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: « قيل: يا رسول الله، أي الناس أفضل؟ قال: **كل مخموم القلب صدوق اللسان**. قيل: صدوق اللسان نعرفه، فما مخموم القلب؟ قال: **هو التقي النقي، الذي لا إثم فيه ولا بغي، ولا غل ولا حسد**»(٢).

ومن ثم كانت الأمة المسلمة حقًّا، هي التي تقوم على عواطف الحب المشترك، والود الشائع، والتعاون المتبادل، والمجاملة الرقيقة، والتى لا مكان فيها للفردية المتسلطة؛ بل هي كما وصف القرآن: ﴿**رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ**﴾ [الحشر:١٠].

قال النبي ﷺ: «**لا تَقَاطَعُوا ولا تَدَابَرُوا، ولا تباغضوا ولا تحاسدوا، وكونوا عباد الله إخوانًا، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث**»(٣).

وفي رواية: «**لا يحل لمؤمن أن يهجر مؤمنًا فوق ثلاث، فإن مرت به ثلاث فلقيه فليسلم عليه، فإن رد السلام فقد اشتركا في الأجر، وإن لم يرد عليه فقد باء بالإثم**»(٤).

---

(١) سنن الترمذى، كتاب: العلم، باب: ما جاء بالأخذ بالسنة واجتناب البدع، رقم الحديث: ٢٦٠٢.
(٢) سنن ابن ماجه، كتاب: الزهد، باب: الورع والتقوى، رقم الحديث: ٤٢٠٦.
(٣) سنن الترمذى، كتاب البر والصلة، باب: ما جاء فى الحسد، رقم الحديث: ١٨٥٨.
(٤) سنن أبى داود، كتاب: الأدب، باب: في من يهجر أخاه المسلم، رقم الحديث: ٤٢٦٦.

قال رسول الله ﷺ: « **مَنْ كانت عنده مظلمة لأخيه من عرض أو شيء؛ فليتحلله منه اليوم، من قبل ألا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه** »[1].

وفي الحديث: «**من اعتذر إلى أخيه المسلم فلم يقبل منه كان عليه مثل خطيئة صاحب مكس**»[2].

وفي رواية: «**من تُنُصِّل إليه فلم يقبل، لم يَرِدْ على الحوض**»[3].

وبهذا الإرشاد المبين للطرفين جميعًا يحارب الإسلام الأحقاد، ويرتقي بالمجتمع المؤمن إلى مستوى رفيع من الصداقات المتبادلة والأخوة الصادقة.

وهناك رذائل رَهَّبَ الإسلام منها، وهي على اختلاف مظاهرها تعود إلى علة واحدة هي الحقد.

روت السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه: «**أتدرون أربى الربا عند الله؟** قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: **فإن أربى الربا عند الله استحلال عرض امرئ مسلم؛ ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾** [الأحزاب: ٥٨]»[4].

قال رسول الله ﷺ: «**من ذكر امرأ بشيء ليس فيه ليعيبه به، حبسه الله في نار جهنم حتى يأتي بنفاد ما قال فيه**»[5].

ومن آداب الإسلام التي شرعها لحفظ المودات، واتقاء الفرقة، تحريم النميمة؛ لأنها ذريعة إلى تكدير الصفو وتغيير القلوب.

---

(١) صحيح البخارى، كتاب: الرقاق، باب: القصاص يوم القيامة، رقم الحديث: ٦٠٥٣.
(٢) سنن ابن ماجه، كتاب: الأدب، باب: المعاذير، رقم الحديث: ٣٧٠٨.
(٣) رواه: جابر بن عبد الله، المحدث: الألبانى، المصدر: ضعيف الترغيب، الرقم: ١٦٧٠.
(٤) الراوى: السيدة عائشة رضى الله عنها، المحدث: المنذري، المصدر: الترغيب والترهيب، الرقم ٨/ ٤.
(٥) رواه: أبو الدرداء، المحدث: المنذرى، المصدر: الترغيب والترهيب، الرقم: ١٥/ ٤.

وقد كان النبي ﷺ ينهي أن يبلغ عن أصحابه ما يسوءه، قال: «**لا يبلغني أحد منكم عن أحد من أصحابي شيئًا، فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر**»[1].

وقال رسول الله ﷺ: «**لا يدخل الجنة نمام**»[2] وفي رواية أخرى «**لا يدخل** الجنة **قتات**»[3].

وقد حرم الإسلام الحسد، وأمر الله تعالى رسوله ﷺ أن يستعيذ من شرور الحاسدين؛ لأن الحسد جمرة تتقد في الصدر، فتؤذي صاحبها، وتؤذي الناس به، وقد قال رسول الله ﷺ: «**لا تجتمعان في جوف مؤمن غبارٌ في سبيل الله وقيح جهنم، ولا يجتمعان في قلب عبد الإيمان والحسد** »[4].

وقال ﷺ: «**إياكم والحسد؛ فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب**»[5] وفي مجال التحاب والتآخي والتناصر والتواصل في الخير والطاعات والمكرمات يأتي قوله ﷺ: «**وكونوا عباد الله إخوانًا**»[6].

هذا أمر باكتساب ما يصير المسلمين به إخوانًا على الإطلاق، وذلك يدخل فيه أداء حقوق المسلم على المسلم من رد السلام، وتشميت العاطس،

---

(١) سنن أبى داود، كتاب: الأدب، باب: فى رفع الحديث من المجلس، رقم الحديث: ٢٤١٨.
(٢) صحيح مسلم، كتاب: الإيمان، باب: بيان غلظ تحريم النميمة، رقم الحديث: ١٥١.
(٣) سنن الترمذى، كتاب: البر والصلة، باب: ما جاء فى النمام، رقم الحديث: ١٩٤٩.
(٤) سنن النسائى، كتاب: الجهاد، باب: فضل من عمل فى سبيل الله على قدمه، رقم الحديث ٣٠٥٨.
(٥) سنن أبى داود، كتاب الأدب، باب: فى الحسد، رقم الحديث: ٤٢٥٧.
(٦) صحيح البخارى، كتاب الأدب، باب: ما ينهى عن التحاسد والتدابر، رقم الحديث: ٥٦٠٤.

وعيادة المريض، وتشييع الجنازة، وإجابة الدعوة، والابتداء بالسلام عند اللقاء والنصح بالغيب، وفي الحديث: «**تهادوا تحابوا**»[1].

قال الإمام الحسن ﷺ: "المصافحة تزيد في المودة"[2].

وقال مجاهد رحمه الله تعالى: "بلغنى أنه إذا تراءى المتحابان، فضحك أحدهما إلى الآخر، وتصافحا تحاتت خطاياهما كما يتحات الورق من الشجر". فقيل له: إن هذا ليسير من العمل، قال: تقولون يسير والله يقول: ﴿**لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾ [الأنفال:٦٣][3].

وقوله ﷺ: «**المسلم أخو المسلم لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره**»[4] هذا مأخوذ من قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾ [الحجرات: ١٠].

فإذا كان المؤمنون إخوة أُمروا فيما بينهم بما يوجب تآلف القلوب واجتماعها، ونهوا عمّا يوجب تنافر القلوب واختلافها، وأيضًا فإن الأخ من شأنه أن يوصل لأخيه النفع، ويكف عنه الضرر، وهذا من أعظم الضرر الذى يجب كفه عن الأخ المسلم، وهذا لا يختص بالمسلم بل هو محرم فى حق كل أحد.

ومن ذلك خذلان المسلم لأخيه، فإن المؤمن مأمور أن ينصر أخاه كما قال النبيُّ ﷺ: «**انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا**». قيل: يارسول الله، أنصره مظلومًا، فكيف أنصره ظالمًا؟! قال: «**تحجزه: تمنعه فإن ذلك نصره**»[5].

---

(١) موطأ الإمام مالك، كتاب: الجامع، باب: ما جاء فى المهاجرة، رقم الحديث: ١٤١٣.
(٢) جامع العلوم والحكم (١/ ٣٣٢).
(٣) الجامع فى الحديث لابن وهب (١/ ١٥٣).
(٤) مسند الإمام أحمد، كتاب: باقى مسند المكثرين، باب: مسند أبى هريرة ﷺ، رقم الحديث: ٧٤٠٢.
(٥) مسند الإمام أحمد، كتاب: باقى مسند المكثرين، باب: مسند أنس بن مالك ﷺ، رقم الحديث: ١١٥١١.

وعن عمران بن حصين ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: « **من نصر أخاه بالغيب وهو يستطيع نصره، نصره الله في الدنيا والآخرة** »[1].

ومن ذلك كذب المسلم على أخيه، فلا يحل له أن يحدثه ويكذبه بل لا يحدثه إلا صدقًا، وفي المسند عن النواس بن سمعان ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثًا هو لك مصدق، وأنت به كاذب**»[2].

ومن ذلك احتقار المسلم لأخيه المسلم، وهو ناشىء عن الكبر، كما قال النبي ﷺ: «**الكبر بطر الحق وغمط الناس**»[3].

قال تعالى: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّ** ﴾ [الحجرات: ١١].

فالمتكبر ينظر إلى نفسه بعين الكمال، وإلى غيره بعين النقص فيحتقرهم، ويزدريهم، ولا يراهم أهلاً لأن يقوم بحقوقهم، ولا أن يقبل من أحدهم الحق إذا ردّوه عليه، وقوله ﷺ: « **التقوى ها هنا، ويشير إلى صدره ثلاث مرات**»[4] فيه إشارة إلى أن كرم الخلق عند الله بالتقوى؛ فربّ من يحقره الناس لضعفه وقلة حظه من الدنيا، وهو أعظم قدرًا عند الله تعالى، فإنما الناس يتفاوتون بحسب التقوى، كما قال تعالى: ﴿ **إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ** ﴾ [الحجرات:١٣].

وقيل للنبي ﷺ: من أكرم الناس؟ قال: «**أتقاهم**»[5].. والتقوى أصلها في القلب كما قال الله تعالى: ﴿ **ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ** ﴾ [الحج:٣٢].

---

(١) رواه: عمران بن حصين، المحدث: البزار، المصدر: البحر الزخار، رقم ٣١/ ٩.
(٢) مسند الإمام أحمد، مسند الشاميين، باب: حديث النواس بن سمعان الكلابى، رقم الحديث: ١٦٩٧٧.
(٣) صحيح مسلم، كتاب: الإيمان، باب: تحريم الكبر، رقم الحديث: ١٣١.
(٤) صحيح مسلم، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره وذمه، رقم الحديث: ٤٦٥٠.
(٥) صحيح مسلم، كتاب: الفضائل، باب: من فضائل يوسف عليه السلام، رقم الحديث: ٤٣٨٣.

وإذا كان أصل التقوى في القلوب فلا يطلع أحد على حقيقتها إلا الله تعالى، كما قال ﷺ: «**إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**»[1]. وحينئذ فقد يكون كثير ممن له صورة حسنة، أو مال، أو جاه، أو رياسة في الدنيا قلبه خراب من التقوى، ويكون من ليس له شيء من ذلك قلبه مملوء بالتقوى، فيكون أكرم عند الله تعالى، بل ذلك هو الأكثر وقوعًا، كما جاء عن حارثة بن وهب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: « **ألا أخبركم بأهل الجنة؟! كل ضعيف مستضعف لو أقسم على الله لأبره، ألا أخبركم بأهل النار؟! كل عُتلٍ جواظ مستكبر**»[2].

وعن سهل بن سعد ﷺ، قال: مرّ رجل على رسول الله ﷺ، فقال لرجل عنده جالس: « **ما رأيك في هذا؟** » فقال: رجل من أشراف الناس، هذا والله حَرِيٌّ إن خطب أن يُنْكح، وإن شفع أن يشفع، وإن قال أن يُسْمَع لقوله. قال: فسكت النبيّ ﷺ، ثم مرّ رجل آخر، فقال رسول الله ﷺ: «**ما رأيك في هذا؟**» فقال: يا رسول الله، هذا رجل من فقراء المسلمين، هذا حَرِى إن خطب ألا ينكح، وإن شفع لا يشفع، وإن قال لا يُسْمع لقوله، فقال ﷺ «**هذا خير من ملء الأرض مثل هذا**»[3].

وقد كان رسول الإسلام بين أصحابه مثلًا أعلى للخلق الذي يدعو إليه، فهو يغرس بين أصحابه هذا الخلق السامي، بسيرته العاطرة، قبل أن يغرسه بما يقول من حكم وعظات.

---

(١) صحيح مسلم، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه، رقم الحديث: ٤٦٥١.

(٢) صحيح البخارى، كتاب: تفسير القرآن، باب: عتل بعد ذلك زنيم، رقم الحديث: ٤٥٣٧.

(٣) صحيح البخارى، كتاب: الرقاق، باب: فضل الفقر، رقم الحديث: ٥٩٦٦.

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: «إن رسول الله ﷺ لم يكن فاحشًا ولا متفحشًا»[1]، وكما كان يقول رسول الله ﷺ: «**خياركم أحاسنكم أخلاقًا**»[2].

وعن أنس ﷺ قال: خدمت النبى ﷺ عشر سنين، والله ما قال لي أفًا قط، ولا قال لشيء: لِمَ فعلت كذا، وهلاّ فعلت كذا[3].

وعنه ﷺ: إذا استقبله الرجل فصافحه، لا ينزع يده من يده، حتى يكون الرجل ينزع يده، ولا يصرف وجهه عن وجهه، حتى يكون الرجل هو الذي يصرفه، ولم يُر مقدمًا ركبتيه بين يدي جليس له»[4]؛ يعني: أنه يتحفظ مع جلسائه فلا يتكبر.

وعن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: «ما خُيّر رسول الله ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما، ما لم يكن إثمًا، فإن كان إثمًا كان أبعد الناس منه، وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه، إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها»[5]، وكان رسول الله ﷺ، كما روت عنه السيدة عائشة «ما ضرب رسول الله ﷺ شيئًا قط بيده، ولا امرأة ولا خادمًا، إلا أن يجاهد في سبيل الله تعالى»[6].

وعن أنس ﷺ: «كنت أمشي مع رسول الله وعليه بُرْد نجداني غليظ الحشية، فأدركه أعرابى فجذبه جذبة شديدة، حتى نظرت إلى صفحة عاتق

---

(١) صحيح البخارى، كتاب: المناقب، باب: مناقب عبد الله بن مسعود ﷺ، رقم الحديث: ٣٤٧٦.
(٢) سنن الترمذى، كتاب: البر والصلة، باب: ما جاء فى الفحش والتفحش، رقم الحديث: ١٨٩٨.
(٣) صحيح مسلم، كتاب: الفضائل، باب: كان رسول الله ﷺ أحسن، رقم الحديث: ٤٢٦٩.
(٤) سنن الترمذى، كتاب: صفة القيامة والرقائق والورع، باب: منه، رقم الحديث: ٣٢٩٦.
(٥) صحيح البخارى، كتاب: المناقب، باب: صفة النبى ﷺ، رقم الحديث: ٣٢٦٩.
(٦) صحيح مسلم، كتاب: الفضائل، باب: مباعدته ﷺ للآثام واختياره، رقم الحديث: ٤٢٩٦.

رسول الله، وقد أثرت بها حاشية البرد من شدة جذبته، ثم قال: يا محمد، مُر لي من مال الله الذي عندك! فالتفت إليه رسول الله ﷺ، وضحك، وأمر له بعطاء»[1].

وعن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: « **إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على سواه**»[2].. وفي رواية: «**إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه**»[3].

وعن جرير رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إن الله عز وجل ليعطي على الرفق ما لا يعطي على الخرق - الحُمْق - وإذا أحب الله عبدًا أعطاه الرفق، ما من أهل بيت يحرمون الرفق إلا حرموا محبة الله تعالى**»[4].

وسُئِلَت السيدة عائشة رضي الله عنها: ما كان رسول الله ﷺ يفعل في بيته؟ قالت: «كان يكون في مهنة أهله، فإذا حضرت الصلاة يتوضأ ويخرج إلى الصلاة»[5].

وتجد الرسول ﷺ عندما يعلمنا الإعراض عن اللغو، ومجانبة الثرثرة يقول: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت**»[6].

والحكم على مقدار الفضل، وروعة السلوك يرجع إلى الخلق الحسن، وفي هذا ورد عن النبي ﷺ أن رجلًا قال: **يا رسول الله، إن فلانة يذكر من كثرة صلاتها وصيامها وصدقتها، غير أنها تؤذى جيرانها بلسانها، فقال:**

---

(١) صحيح البخارى، كتاب: الأدب، باب: التبسم والضحك، رقم الحديث: ٥٦٢٤.
(٢) صحيح مسلم، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: فضل الرفق، رقم الحديث: ٤٦٩٧.
(٣) صحيح مسلم، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: فضل الرفق، رقم الحديث: ٤٦٩٨.
(٤) رواه: جرير بن عبد الله، المحدث: العراقى، المصدر: تخريج الإحياء، رقم الحديث: ٤٩٧.
(٥) صحيح البخارى، كتاب: الأذان، باب: من كان فى حاجة أهله فأقيمت الصلاة فخرج، رقم الحديث: ٦٣٥.
(٦) صحيح البخارى، كتاب: الأدب، باب: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ، رقم الحديث: ٥٥٥٩.

«**هي في النار**». ثم قال: **يا رسول الله فإن فلانة يذكر من قلة صيامها، وصدقتها، وصلاتها، وأنها تتصدق بالأثوار من الأقط، ولا تؤذي جيرانها بلسانها**. قال: « **هي في الجنة** »[1].

وعن أسامة بن شريك قال: كنَّا جلوسًا عند النبي ﷺ كأنما على رءوسنا الطير، ما يتكلم منا متكلم، إذ جاءه أناس فقالوا: مَنْ أحب عباد الله إلى الله تعالى؟ قال: «**أحسنهم خلقًا** »[2].

وسُئِل: «أي المؤمنين أكمل إيمانًا؟» قال: **أحسنهم خلقًا**»[3].

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ألا أخبركم بأحبكم إلي، وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة؟ - فأعادها مرتين أو ثلاثة - قالوا: بلى يا رسول الله. قال: أحسنكم خُلُقًا**»[4].

وقال: «**ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن، وإن صاحب حسن الخلق ليبلغ به درجة صاحب الصوم والصلاة** »[5].

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن العبد ليبلغ بحسن خلقه عظيم درجات الآخرة، وأشرف المنازل، وإنه لضعيف العبادة، وإنه ليبلغ بسوء خلقه أسفل درجة في جهنم**»[6].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم**»[7].

---

(١) مسند الإمام أحمد، كتاب: باقى مسند المكثرين، باب: باقى المسند السابق، رقم الحديث: ٩٢٩٨.
(٢) الراوى: أسامة بن شريك، المحدث: الألبانى، المصدر: صحيح الترغيب، رقم: ٢٦٥٢.
(٣) الراوى: قتادة بن سعد، المحدث: الهيثمى، المصدر: مجمع الزوائد، الرقم: ١١٩/ ٣.
(٤) مسند الإمام أحمد، كتاب مسند المكثرين من الصحابة، باب: مسند عبد الله ابن العاص رضي الله عنه رقم الحديث: ٦٤٤٧.
(٥) سنن الترمذى، كتاب: البر والصلة، باب: ما جاء فى حسن الخلق، رقم الحديث: ١٩٢٦.
(٦) رواه: أنس بن مالك، المحدث: المنذرى، المصدر: الترغيب والترهيب، رقم الحديث: ٤٧٩٨.
(٧) رواه: عائشة، المحدث: أبو داود، المصدر: سنن أبى داود، رقم الحديث: ٤٧٩٨.

وفي رواية: «**إن المؤمن ليدرك بحسن الخلق درجات قائم الليل، وصائم النهار**»[1].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن المسلم المسدد ليدرك درجة الصوام القوام بآيات الله، بحسن خلقه وكرم ضريبته**»[2].

وإن الإيمان والصلاح والأخلاق، عناصر متلازمة متماسكة، لا يستطيع أحد فصل بعضها عن بعض.

لقد سأل ﷺ أصحابه يومًا: «**أتدرون من المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع. فقال: إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا؛ فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه، أخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار**»[3].

وتقريرًا لهذه المبادئ الواضحة في صلة الإيمان بالخلق القويم، يقول النبي الكريم ﷺ: «**ثلاث من كن فيه فهو منافق، وإن صام وصلى، وزعم أنه مسلم: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان**»[4]، وقال في رواية أخرى: «**آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا اؤتمن خان، وإذا وعد أخلف**»[5].

---

(١) رواه: السيدة عائشة رضى الله عنها، المحدث: الألبانى، المصدر: صحيح الترغيب، رقم: ٢٦٤٣.

(٢) مسند أحمد، كتاب: مسند المكثرين من الصحابة، باب: مسند عبد الله بن عمرو بن العاص، رقم: ٦٣٦١.

(٣) صحيح مسلم، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تحريم الظلم، رقم: ٤٦٧٨.

(٤) مسند الإمام أحمد، كتاب: باقى مسند المكثرين، باب: باقى مسند المكثرين، رقم الحديث: ١٠٥٠٤.

(٥) صحيح البخارى، كتاب: الشهادات، باب: من أمر بإنجاز الوعد، رقم الحديث: ٢٤٨٥.

وقال كذلك ﷺ: «**أربع من كُنَّ فيه كان منافقًا خالصًا، ومن كان فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا اؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر**»[1].

هذه أخلاق النقاء والبقاء التى ينبغى على المسلم أن يتعلمها ويعمل بها، ويتمسك بها من خلال سنته الشريفة ﷺ، والتي هي ركيزة وأساس من معالم هذا الدين العظيم، ولله الحمد.

وبعد هذه المقدمة حول الأخلاق في الإسلام وعلاقتها بالبقاء والنقاء، فإننا نشير إلى أن هذا الكتاب بمباحثه العشرين قد تناول كل ما يتصل بصلاح القلوب، ونقاء القلوب، وطهارة القلوب من المعاصي، وهذه الموضوعات تندرج في أهميتها وطريقة عرضها حتى تصل إلى الهدف الرئيسي من هذا الكتاب، وهو إبراز عوامل نقاء العمل، وبقاء أثره.

ولذا يبدأ الكتاب بالحديث عن البقاء والنقاء، ثم النقاء والثبات، ثم التوبة واليقين، ثم كيفية اجتماع القلوب؛ ثم تناول فضيلة الإيثار، وأنها إحدى علامات المحبة، ثم نجيب على سؤال مهم، وهو أي الطاعات أفضل؟ وبعد هذا نتناول موضوعًا مهمًّا وهو كيفية تحقق الصدق مع الله، ثم الحديث عن مسجد ضرار، ثم ركز الكتاب بعد هذا على تلوث القلوب والجوارح، ثم أبان تلوث القلوب، وكيفية إحباط العمل، ثم كيفية النجاة من موبقات الآثام، ويأخذك الكتاب بعد هذا إلى رحلة التزكية، وكيف تنتقى المرأة المسلمة، وكيف يتصف الرجل المسلم بالخصلة الصالحة، حتى يختم الكتاب بالمبحث العشرين وهو (قد أفلح من تزكى).

---

(١) صحيح البخارى، كتاب: الإيمان، باب: علامة المنافق، رقم الحديث: ٣٣.

ولله الحمد ومنه العون، اللهم اجعل هذا العمل
خالصًا لوجهك الكريم وتقبله منا يا رب العالمين.

اللهم إنا نعوذ بك من الشك والشرك، والشقاق والنفاق،
وسوء الأخلاق، اللهم إنا نسألك إيمانًا كاملًا، ويقينًا صادقًا
ورزقًا واسعًا، وقلبًا خاشعًا ولسانًا ذاكرًا، ورزقًا حلالًا طيبًا،
وتوبة نصوحًا، وتوبة قبل الموت، ومغفرة ورحمة بعد الموت،
والعفو عند الحساب والفوز بالجنة، والنجاة من النار برحمتك
يا عزيز يا غفار، ربنا زدنا علما وألحقنا بالصالحين.

اللهم إنا نسألك أن ترفع ذكرنا، وتضع أوزارنا، وتصلح أمرنا
وتطهر قلوبنا، وتنور لنا في قبورنا، وتغفر لنا ذنوبنا
ونسألك الدرجات العلى من الجنة .. آمين.

اللهم إنك تعلم سرنا وعلانيتنا فاقبل معذرتنا، واللهم يا ربنا
إنك تعلم حاجتنا فاعطنا سؤلنا، وتعلم ما في نفوسنا فاغفر لنا
ذنوبنا، اللهم إنا نسألك إيمانًا يباشر قلوبنا، ويقينا صادقًا حتى
نعلم أنه لا يصيبنا إلا ما كتبت لنا رضاءً منك بما قسمت لنا
أنت ولينا في الدنيا والآخرة توفنا مسلمين وألحقنا بالصالحين.

اللهم بأسمائك الحسنى وصفاتك العليا طهر قلوبنا من كل وصف
يباعدنا عن محبتك، وأمتنا على السنة والجماعة والشوق إلى لقائك يا ذا
الجلال والإكرام، اللهم نور بالعلم قلوبنا، واستعمل بطاعتك أبداننا،
وخلص من الفتن سرنا، واشغل بالاعتبار فكرنا، وقنا شر وساوس
الشيطان، وأجرنا منه يا رحمن حتى لا يكون علينا سلطان.

﴿رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾.

اللهم صلِّ وسلم على سيدنا محمد صفوة الرسل والعباد، الداعي إلى سبيل الرشاد، وشفيع الخلائق في المعاد

صلى الله عليه وعلى آله، صلاة تهدم بها قوائم أهل الشرك والفساد وننتصر بها على الظالمين وعلى الآل والصحب وسلم تسليمًا كثيرًا.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

٨ ذو الحجة ١٤٣١هـ - ٢٥ / ١١ / ٢٠٠٩ م

الراجي عفو مولاه
خادم العلم الشريف
المقصر المتذلل
المشتاق إلى رحمة ربه

أحمد عبده عوض